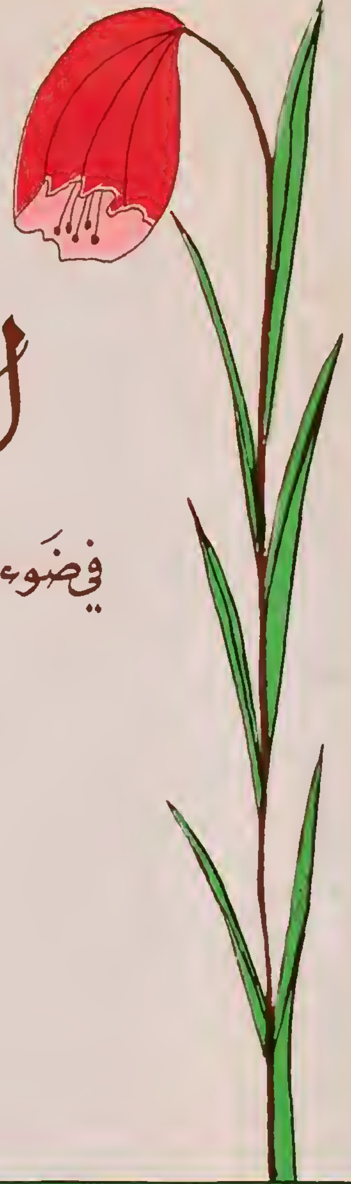


الحياء

في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة

تأليف
سليم الهلالي

مكتبة ابن الجوزي

الحياء

في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الناشر

مكتبة ابن الجوزي

المملكة العربية السعودية - الأحساء - الهفوف - شارع الجامعة

هاتف: ٥٨٢٤٦٧٢ - ص. ب: ١٧٨٦

الدمام - شارع المستشفى المركزي - هاتف: ٨٢٦٧٩٨٣

الحياء

في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة

تأليف
سليم الهلالي

مكتبة ابن الجوزي

بسم ِ الله الرحمٰنِ الرحيم ِ

المقدمـــــة

إنَّ الحمـدَ لله، نحمـدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا، ومِن سيِّئاتِ أعْمالِنا، مَن يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

أمّا بعد:

فإنَّ مَدارَ الإسـلامِ على خُلُقِ الحياءِ، من حيثُ الفعلُ، لأنه القانونُ الشرعيُّ الذي ينتَظِمُ الأفعالَ الشرعيةَ جميعَها، ولذلكَ اتَّفَقَتْ كلمةُ الأنبياءِ عليهِم السلامُ على اسْتِحْسانهِ من أوَّلِهم إلى آخِرِهم.

وأقَرَّتْهُ العقولُ السليمةُ، والفِطَرُ المستقيمَةُ، ولم تَسْتَطِع شياطينُ الإنْسِ والجِنِّ أن تُجْـرِيَ عليه التحـريفَ والتَّبْديلَ، ولو كانَ بَعضُهُم لبعضٍ ظَهيراً.

ولما كانَ الحياءُ بهذهِ المكانَةِ في العَقْلِ والنَّقْلِ، كان لِزاماً أنْ نُفْرِدَهُ في بحثٍ يشتَمِلُ على مَعانيهِ، وأبوابِهِ، وفضائِلِهِ، وما هو منه، وما هو بريءٌ منـه؛ وإن ظَنَّهُ الناسُ حياءً، فكانت هذه الرسالةُ الموسومةُ بـ «الحياء في ضوءِ القرآنِ الكريمِ والسنةِ الصحيحةِ».

وأسألُ الله أن يَتَقَبَّلها بقبولٍ حَسَنٍ، ويجعَلَها علماً نافِعاً، ويدَّخِرَ لي ثوابَها إلى يومِ لِقائِهِ، يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنونَ، إلاَّ مَن أَتَى الله بِقَلْبٍ سليمٍ.

وعلى الله قَصْدُ السَّبيلِ.

وكتبه

أبو أُسامة سليم بن عيد الهلالي

ضحى الخميس لتسع ليالٍ بقيت من شعبان

سنة ألف وأربعمئة وثمان من هجرة نبينا محمد ﷺ

في عمان البلقاء عاصمة الأردن



* الفصل الأول:

الحَياءُ لُغَةً

هو تغير، وانكسـار، وانقبـاض، يعتري النفس الإنسانية، من خوف ما يُعاب بهِ.

قال جرير:

لولا الـحـياءُ لَعَـادَنـي اسْـتِـعْـبَـارُ
ولَــزُرْتُ قَبْـرَكِ والـحَـبـيـبُ يُزارُ

وأَصل الحياء من الحياة، ومنه: الحيا للمطر، ولذلك قيل في الحياءِ: هو ماءُ الوجه، حيث أَنشد محمد بن عبدالله البغدادي:

إذا قَلَّ مَاءُ الـوَجـهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
فَلَا خَيرَ فِي وَجـهٍ إذا قَلَّ مَاؤُهُ

حَيَاءَكَ فَاحـفَـظهُ عَلَيكَ فَإنَّـمَـا
يَدُلُّ عَلَىٰ وَجـهِ الـكَـرِيمِ حَيَاؤهُ



* الفصل الثاني:

الحياءُ شرعاً

هو خلق سنيٌّ، يبعث على ترك الأمور القبيحة؛ فيَحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق.

ويدلُّ على هذا المعنى الشرعي قول النبي ﷺ:

«إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوَّةِ الأولى: إذا لم تَسْتَحْيِ فاصْنعْ ما شِئْتَ»[1].

وقد أورد العلماء تفسيرات كثيرة في معنى هذا الحديث منها[2]:

أ ـ هو أمر بمعنى الخبر، لأن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه كان كالمأمور بفعل كل محظور.

ب ـ هو تهديد أي: اصنع ما شئت فإن الله يجزيك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦ / ٥١٥ و ١٠ / ٥٢٧ ـ الفتح)، وغيره، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر «فتح الباري» لابن حجر (٦ / ٥٢٣)، و«المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (٣ / ٢٣٢).

ت ـ انـظر إلى ما تريد فعلـه فإن كان ممـا لا يُستَحَى منـه؛ فافعله، وإن كان مما يُسْتَحَى منه؛ فدعه.

ث ـ هو حثٌّ على الحيـاء وتنويهٌ بفضلـه أي: لَمَّا لم يجز صنع جميع ما شئت، لم يجز ترك الحياء.

واعلم أيهـا العبـد الحيـي أن هذه التـوجيهـات طيبـة، لأنها تتمخّض عن معان سامية شريفة. ولكن أقربها إلى الحق أنه أمر بمعنى الخبر، فمن لا يستحيي يصنع ما يشتهي.

واعلم أيهـا الحيي أن من لزم الحياء كانت أسبـاب الخير منه موجودة، كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً، وتواتر الشر منه موجوداً؛ لأن الحياء هو الحائل بين العبد وتلك المزجورات كلها؛ فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.

ولله در القائل:

وَرُبَّ قَبِيحَةٍ ما حَالَ بَيني
وبين رُكُوبِهَا إلا الحَيَاءُ
فَكَانَ هُو الدَّوَاءَ لَهَا ولَكِن
إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلا دَوَاءُ

ولقد أحسن الذي يقول:

إذا رُزِقَ الفَتَى وَجهاً وقَاحَاً
تَقَلَّبَ في الأمورِ كَمَا يَشَاءُ

ولـــم يَكُ للدَّواءِ ولا لِشَــيءٍ
يُعَــالِـجُــهُ بِهِ فيهِ عَنَــاءُ
فمــا لكَ في مُعــاتبـةِ الـذي لا
حيَاءَ لِوَجــهِــهِ إلا الــعَــنَــاءُ

ولــذلـك من لزم الحياء صان عرضــه، ودفن مســاويه، ونشـر محاسنه، ومن ذهب حياؤه هان على الله وعلى الناس وعلى نفسه.

وصدق القائل:

إذا لَم تَصُن عِرضَاً ولَم تَخش خَالِقَاً
وتَـستَحي مَخلُوقــاً فَمَــا شِئتَ فَاصنَــعِ
إذا كُنتَ تأتي المَــرءَ تُعــظِمُ حَقَّـهُ
ويَجهَـلُ مِنكَ الحَقَّ فالصَّرمَ أوسعِ



* الفصل الثالث:

الحَيَاءُ خَاصِّيَّةٌ بَشَرِيَّةٌ

اعلم يا عبد الله أن الحياء من خصائص الإنسان حباهُ الله به ليرتدعَ عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة.

ولذلك، لما أكل آدم وحواء من الشجرة المحظورة، وبدت لهما سوآتهما، راحا يَجمعان مِن ورق الجنة، ويشبكانه بعضه في بعض، ويضعانه على سوآتِهما، مما يوحي أن الإنسان يستحيي من التعرِّي فطرةً، ولا يتعرَّى ويتكشف إلا بفساد في هذه الفطرة من صنع إبليس وأعوانه(٣).

قال تعالى:

﴿فَدَلَّاهُما بِغُرورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُما سَوْآتُهُما وطَفِقَا يَخْصِفانِ عليهِما مِن وَرَقِ الجَنَّةِ ونَاداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عن تِلْكُما الشَّجَرَةَ وأَقُلْ لَكُما إنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ولقد قرر الأنبياء جميعاً هذه الخاصيّة؛ فتناقلتها الرسالات جميعاً، من النبوة الأولى إلى النبوة الخاتمة؛ فقال ﷺ:

---

(٣) انظر رسالتي «مقامع الشيطان» (ص ٢٥ ـ ٢٦)، نشر مكتبة ابن الجوزي.

«إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولى: إذا لم تستحْيِ فاصنعْ ما شئتَ»[٤].

ولقد كانت العرب في جاهليتها الأولى تستحيي، فهذا أبو سفيان قبل إسلامه، عندما وقف أمام هرقل، ليسأله عن النبي ﷺ، فأخبر عن نفسه قائلاً:

«لولا الحياءُ من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه»[٥].

وهذا عنترة يقول:

وأَغُضُّ طَرْفي إنْ بَدَتْ لي جَارَتي
حَتَّى يُوارِي جَارَتي مَأْوَاها

وكان الحياء من ديدنهم، كما يتضح من هذا السؤال الاستنكاري الذي وجهه أبو موسى الأشعري لرجل من بني جشم، عندما فرّ هارباً، فقال:

«... فلما رآني ولَّى عني ذاهباً، فاتَّبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحيي؟! ألست عربياً؟! ألا تثبت؟! فكفَّ..»[٦].

وكل هذه الشواهد توحي بأهمية الحياء، وعمقه في الفطرة البشرية السليمة، التي تنفُر من القبيح والسوء، وقد تمثّلت هذه الفطرة السليمة التي يحكيها القرآن الكريم في قصة النشأة الأولى في اللباس

(٤) مضى برقم (١).
(٥) أخرجه البخاري (١ / ٣١ - الفتح).
(٦) أخرجه مسلم (١٦ / ٥٩ - نووي).

وستـر العـورة، حيث نفرت من انكشاف سوآتها الجسدية والنفسية، وحرصت على سترها ومواراتها.

والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، والنفس من التقـوى ومن الحياء من الله ومن النـاس... هؤلاء الـذين يطلقـون العنـان لألسنتهم وأقـلامهم من خلال أجهزة التوجيه والإعلام كلهـا لتأصيل هذه المحاولة ـ في شتى الصور والأشكال الإبليسية الخبيثة ـ هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته وإنسانيتـه التي بها صار إنساناً.

وهم الذين يريدون أن يسلّموا الإنسان لعدوه الشيطان، لينزع عنه لباسه، ويكشف سوآته: فهم أعوان الشيطان.

وهم الـذين يخـطّطون لتـدمير الإنسـانيـة بإشـاعـة الانحلال والعري، لتخضع لجند إبليس.

إن العري صفة بهيمية لا يميل الإنسان إليه إلا وهو ينكس إلى حمأة الحيوانية، وإن رؤية العري جمالاً هو فساد في الذوق الإنساني قطعاً.

والمتخلفـون في غابات وأدغال إفريقية عراة، والمتقدمون في مدن أوروبة عراة، والإسلام حين يدخل بحضارته إليهم، يكون أول مظاهر الحضارة اكتساء العراة، وستر السوءات، ومواراة العورات.

ولكن أبواق الشيطان التي عاشت في ديار المسلمين، وتسمت بأسمـاء المسلمين، إذا رأت المسلمـة في زينتهـا التي أنعم الله بها عليها: جلباباً، وخماراً، ودرعاً، لإرادته بها الكرامة والستر، ولتنمو فيها

خصائص الفطرة الإنسانية على سلامتها وجمالها الفطري، ولتتميز عن العـري الحيواني . . . إذا رأتهـا في بيت، أو شارع، أو مدرسـة، أو جامعة، سلقتها بألسنة حداد؛ فعيَّرتها، لأن زينة الله وفق فطرة الله تدمي قلب الشيطان، الـذي يريد نزع لبـاس الحشمـة والتقـوى عن بني الإنسان.

وهكـذا تصنع الجاهلية بالناس، فتمسخ فطرتهم، وأذواقهم، وتصوراتهم، وقيمهم، وموازينهم، وتعريهم من اللباس، ومن التقوى والحياء، ثم تدعـو هذا العـري رقياً وتجـديداً، ثم تعيّر الكـاسيات المحصنـات العفيفـات الحرائر المسلمات المؤمنات القانتات بأنهن رجعيات وتقليديات و. . . (!).

ومـاذا تفعـل بيوت الأزياء ومُصَمِّمـوهـا، ودكـاكين التجميل وأساتذتها بنساء اليوم ورجاله (!) إن هذه الشياطين الإنسية وراء هذا الخبـل الـذي لا يفيق منـه النـاس رجالاً ونساء، وهي تنفذ المكيدة الشيطانية ﴿ولآمُـرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النسـاء: ١١٩]، بصـور وأشكال شتى، فتطيعها القطعان العارية في أرجاء الأرض طاعة مزرية، وتقلدها تقليداً مضحكاً مبكياً.

وسواء أكان الزي الجديد لهذا العام، أو هذا الفصل، يناسب أية امرأة، أو لا ينـاسبها، وسواء أكانت مراسم التجميل تصلح لها أو لا تصلح، فهي مطيعـة صاغـرة. . . وإلا عيَّرتها البهائم المغلوبة على أمرها، المخدرة بوسوسة وإغراء شياطين الإنس.

وثم تمتهنها فجعلتها مادة الدعاية التجارية، فإذا بلغت مبلغاً لا

يستطيع فيه العطار أن يصلح ما أفسد الدهر، نبذتها مذمومة مدحورة.

وجعلتها أداة الشهوة المحرمة، التي تترنح على الأسرة في صفحات المجلات، والأفلام، والروايات، والقصص، والصحف، وكأن هذه الصحف والمجلات أضحت ماخوراً متنقلاً للدعارة والبغاء.

وإذا أرادت المرأة تحصناً، نظروا إليها نظر المغشيّ عليه من الموت... قُل موتوا بغيظكم.

اختاه لا تكوني للشيطان النحس سفيرة، فاعتصمي بحبل الله وقدرته القديرة.



* **الفصل الرابع :**

أبواب الحياء

اعلم أخا الإسلام ـ علّمك الله ـ أن الحياء اسم جامع مانع، يدخل فيه أبواب كثيرة.

(١ ـ ٤) الحياء من الله :

اعلم ـ أرشدك الله إلى الهدى ـ أن ذم الله فوق كل ذم، ومدحه فوق كل مدح، والمذموم من ذمه ربه، والمحمود حقيقة من حمده ربه، فالله أحق أن يُسْتَحْيِي منه.

والحياء من الله ـ تعالى ـ طريق إلى إقامة كل طاعة، واجتناب كل معصية، لأنه إذا خاف العبد ذم ربه، لم يرفض له طاعة، ولم يقرب معصية، وبذلك يكون الحياء من الإيمان.

قال ﷺ :

«الإيمـانُ بضـعٌ وسبعـون شعبةً، فأفضلُها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»(٧).

---

(٧) أخرجه البخاري (١ / ٥١ ـ الفتح)، ومسلم (١ / ٦ ـ نووي)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد حثّ الشرع على الاستحياء من الله حق الحياء، فقال رسول الله ﷺ:

«استحيوا من الله حقَّ الحياءِ، مَن استحيى مِن الله حقَّ الحياء، فلْيحفظِ الرأسَ وما وعى، والبطنَ وما حوى، وليذْكُرِ الموتَ والبِلا، ومَن أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فعلَ ذٰلك فقدِ اسْتَحيا مِن الله حقَّ الحياء»[(٨)].

(٢ ـ ٤) الحياء من الناس:

ويدخل في جملة الحياء استحياء الناس بعضهم من بعض، كحياء الولد من والديه، والمرأة من زوجها، والجاهل من العالم، والصغير من الكبير، وحياء البكر مِن الإفصاح بالرغبة في النكاح.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: يا رسول الله! إن البكر تستحي.

---

(٨) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١ / ٣٨٧)، والحاكم (٤ / ٣٢٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٢٣٤)، وغيرهم، من طريق أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة الهمداني، عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً.
قلت: إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد.
ولكنه لم يتفرد به كما قال الترمذي؛ فقد تابعه عقبة بن عبدالغافر، عن أبي عبيدة ابن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، به.
أخرجه الطبراني في «الصغير» (١ / ١٧٧).
وعقبة بن عبدالغافر ثقة.
فالحديث حسن بمجموع طرقه.

قال: «رضاها صمتُها»(٩).

(٣ ـ ٤) حياء المرء من نفسه:

وهـذا ضرب من الحياء، تحس بـه النفـوس الشـريفة العزيزة الرفيعة، فلا تقنع بالنقص والدون والهون. فيجد المرء نفسه مستحيياً من نفسه، لكأن له نفسين يستحيي بأحدهما من الأخرى.

وهذا القسم من كمال الحياء، فإن العبد إذا استحيى من نفسه، فهو أولى بأن يستحيي من غيره.



(٩) أخرجه البخاري (٩ / ١٩١ ـ الفتح).

* الفصل الخامس:

فضائل الحياء

اعلم يا مسلم يا عبد الله أن الحياء ذو مناقب كثيرة، فهو مادة الخير والفضيلة، وبهذا وصفه رسول الله ﷺ:

«الحياءُ خيرٌ كلُّه»[10].

وحسبك من هذه الفضائل:

(١ ـ ٥) الله يحب الحياء:

قال ﷺ:

«إنِ الله حَيِيٌّ، سِتِّير، يحبُّ الحياءَ والسترَ»[11].

(٢ ـ ٥) الحياء خلق الإسلام:

قال رسول الله ﷺ:

---

(١٠) أخرجه مسلم (٢ / ٧ ـ نووي)، وغيره، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(١١) أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (١ / ٢٠٠)، وأحمد (٤ / ٢٢٤)، من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه.
قلت: وهو صحيح.

«إن لكلِّ دينٍ خُلُقاً، وخُلُقُ الإسلامِ الحياءُ»[12].

(٣ ـ ٥) الحياء من الإيمان:

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال الرسول ﷺ:

«دَعهُ؛ فإنَّ الحياءَ مِن الإيمانِ»[13].

(٤ ـ ٥) الحياء لا يأتي إلا بخير:

عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ:

«الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ»[14].

(٥ ـ ٥) الحياء يقود إلى الجنة:

قال ﷺ:

---

(١٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٤٩)، والطبراني في «الصغير» (١ / ١٣ ـ ١٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧ / ٢٣٩)، وغيرهم، من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده حسن إن شاء الله.
وله شاهد مرسل عن يزيد بن ركانة.
أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٨٣)، ومن طريقه هناد في «الزهد» (١٢١٣)، ومالك (٢ / ٢١١ ـ ٢١٢)، وغيرهم.
وله شواهد عن ابن عباس، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل.
فالحديث بمجموعها صحيح لا ريب.

(١٣) أخرجه البخاري (١ / ٧٤ ـ الفتح).

(١٤) أخرجه البخاري (١٠ / ٥٢١ ـ الفتح)، ومسلم (٢ / ٦ ـ ٧ ـ نووي).

«الحياءُ مِن الإيمانِ، والإيمنُ في الجنةِ، والبذاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النارِ»



(١٥) أخرجه الترمذي، وابن حبان (١٩٢٩)، والحاكم (١ / ٥٢ - ٥٣)، وأحمد (٢ / ٥٠١)، وغيرهم، من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة به مرفوعاً.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
قلت: ليس كذلك، فإن محمد بن عمرو أخرج له مسلم متابعة.
لكن تابعه سعيد بن أبي هلال عند ابن حبان (١٩٣٠)؛ فصح الحديث.

* الفصل السادس:

أمور تعين على الحياء

اعلم أخا الإيمان أن الحياء مادة الحياة، فعلى حسب حياة القلب يكون خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب حياً، كان الحيَاء أتم.

(١ ـ ٦) مراقبة الله:

متى علم العبد أن الله ناظر إليه، قريب منه، أورثه هذا العلم حياء منه.

(٢ ـ ٦) شكر النعمة:

يتولد الحياء من الله من التقلب في نعم الله التي لا تحصى، فيستحيي العاقل أن يستعين بها على معصية الله.



* الفصل السابع:

أمور لا تعد من الحياء

(١ ـ ٧) عدم قول الحق والجهر به:

قال تعالى:

﴿والله لا يَسْتَحْيِي مِن الحقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» (١ / ٥٢):

«ولا يُقال رُبَّ حياءٍ يمنع من قول الحق، أو فعْل الخير، لأن ذلك ليس شرعياً».

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في «شرح صحيح مسلم» (٢ / ٥):

«فقد يُشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يجلُّه، فيترك أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة.

وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة، منهم أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله:

إن هـذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء، بل هو عجز، وخور، ومهـانـة، وإنمـا تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازاً، لمشابهته الحياء الحقيقي، وإنما الحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق» أ. هـ.

(٢ ـ ٧) الحياء في طلب العلم:

قالت عائشة رضي الله عنها:

«نعم نساءُ الأنصارِ، لم يمْنَعْهُنَّ الحياءُ أنْ يتَفَقَّهْنَ في الدينِ»[١٦].

وقال الإمام مجاهد:

«لا يتعلَّمُ العلمَ مستحْي ولا مستكبرٌ»[١٧].

وعن أبي العالية مثله[١٨].



(١٦) أخرجه البخاري (١ / ٢٢٨ ـ الفتح) تعليقاً، ووصله مسلم (٤ / ١٥ ـ ١٦ ـ نووي).

(١٧) أخرجه البخاري (١ / ٢٢٨ ـ الفتح) تعليقاً، وقال الحافظ: وصله أبو نعيم في «الحلية» بإسناد صحيح على شرط البخاري.

(١٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٢٢٠).

* الفصل الثامن :

حياءُ الله ـ سُبحانَه وتَعالى ـ من العبدِ

قال العلامة الرباني ، شيخ الإسلام الثاني ، ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (٢ / ٢٦١) :

«وأما حياء الرب تعالى من عبده، فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام ، ولا تكيفه العقول ، فإنه حياء كرم ، وبر، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى حييٌّ كريم ، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام» أ . هـ .



* الفصل التاسع :

حياءُ النَّبيِّ ﷺ

لقد كمل خلق الحياء بتمامه في سيرة رسول الله ﷺ، حتى أن أبا سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال :

«كان النبي ﷺ أشدُّ حياءً من العذراءِ في خِدْرِها» (19)



(١٩) أخرجه البخاري (٦ / ٥٦٦ ـ الفتح)، ومسلم (١٥ / ٧٨ ـ نووي)، وغيرهما.

* الفصل العاشر:

حياءُ الأَنبياءِ ـ صلَّى الله عليهِم وسلَّمَ

الحياء شرعة توارثتها الرسالات عبر الأجيال جميعها، وقد أشرنا إلى هٰذا من قبل.

لذلك يعدّ الحياء خلق الأنبياء جميعاً، ولكن السنة النبوية الصحيحة نقلت بعض ذلك.

قال رسول الله ﷺ:

«إن موسى كان حيِيّاً ستِّيراً، لا يُرى من جِلدِه شيءٌ استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا:

ما يستترُ هٰذا إلا من عيبٍ بجلده: إما برص، أو أُدْرَة، وإما آفة.

وإنَّ الله أراد أن يبرِّئه ممَّا قالوا، فخلا يوماً وحدَه، فوضع ثيابَه على الحجرِ، ثم اغتسلَ، فلما فرَغ، أقبلَ إلى ثيابِهِ ليأخذَها، وإن الحجرَ عدا بثوبِهِ، فأخذ موسى عصاهُ، وطلبَ الحجرَ، فجعلَ يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً، فوالله إن بالحجر لندباً من أثرِ ضربِهِ ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً، فذلك قوله:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَكُونوا كالذينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالوا وكانَ عندَ اللهِ وَجيهاً﴾ [الأحزاب : ٦٩]»[٢٠]

وفي شرعنا الحنيف، يستحب لمن أراد الاغتسال، أن يستتر، فالله أحق أن يستحيي منه الناس.

قال ﷺ :

«إن الله حَيِيٌّ ستِّير، يحبُّ الحياءَ والسترَ، فإذا اغْتَسَلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ»[٢١].



(٢٠) أخرجه البخاري (٦/ ٤٣٦ ـ الفتح)، واللفظ له، ومسلم (٥ / ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ نووي)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢١) مضى برقم (١١). ٠

* الفصل الحادي عشر:

حياءُ السَّلفِ الصالحِ - رضيَ الله عنهم.

لقد كان جيل القدوة الأول، الذين ورثوا مكارم الأخلاق عن الرسول ﷺ، أشد الناس حياء، وبرز من بينهم نماذج رائعة في الحياء، كانت الملائكة تستحيي منهم.

قال ﷺ:

«وأصدقُهُم حَياءً عُثمان»[٢٢].

وكان الرسول ﷺ والملائكة الكرام يستحيون من عثمان رضي الله عنه.

قال ﷺ:

«ألا أستَحْيِي من رجلٍ تستَحْيي منهُ الملائكةُ»[٢٣].



(٢٢) جزء من حديث طويل صحيح، أوعبت في تخريجه في «تخريج الوصية الصغرى» (٦)، فليراجع.

(٢٣) مسلم (٥ / ١٦٨ - ١٦٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

الخاتمة

«رزقنا الله الحسنى وزيادة»

اعلم يا مسلم، يا عبدالله، أن الأخلاق كانت في تصور خير القرون عقيدة؛ فتبوأت في حياتهم مكاناً عليّاً؛ فكتب التاريخ سيرتهم بحروف معطرة، تفعم الحياة على مر عصورها، وكر دهورها، فضيلة، وخيراً، وصلاحاً، وإصلاحاً.

وذروة سنام هذه الأخلاق الربانية الحياء، الذي يسري في الأفعال، فيجعلها نماء وبركة، وقرة عين للبشر.

فاحرص أخا الإيمان على اتباع أثرهم، واقتفاء سبيلهم، وعضَّ على الحياء بالنواجذ.

ولله در القائل:

إذا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيالي
ولَمْ تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ ما تَشَاءُ
فلا والله مَا فِي العَيشِ خَيرٌ
ولا الدُّنْيا إذا ذَهَبَ الحَياءُ

يَعِـيشُ الـمَـــرءُ ما اسـتَـحـيَى بخَيرٍ
وَيَبـقَـى الـعُــودُ ما بَقِـيَ الـلحَــاءُ

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



فهرست المواضيع



طبع بأشراف
دار الصحابة